٤. الأخلاق والسلوك

قال تعالى :-

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

[القلم:٤]

صدق الله العظيم

العالم :

- الخلق في اللغة هو السجية والطبع والمروءة والدين وقيل :التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء ولقد وصف الله تعالى رسوله الكريم ﷺ :-

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤]

- والسلوك : هو عمل الإنسان الصادر عن إرادة حرة ، فالخلق والسلوك كدال والمدلول فإذا كان السلوك حسناً محموداً كان الخلق حسناً محموداً وإذا كان الخلق للإنسان سيئاً كان السلوك كذلك سيئاً .

ولنا نظرة تشفينا لمعرفة القوانين الربانية للأخلاق ولكم ذكرها :

العضو الأول :-

قال الله تعالى :-

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة:١٠٠] .

العضو الثاني :-

وقال الله تعالى :-

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦]

العضو الثالث :-

قال الله تعالى :-

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

[الأنبياء:١٠٥]

العضو الرابع :-

وقال الله تعالى :-

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] .

القاضي :

وإن النظام الأخلاقي في الإسلام له خصائص منها : شمل علاقة الإنسان بربه خالقه وخالق كل شيء فالإخلاف سر بين العبد وربه لا يعلمه إلا الله عز وجل والإسلام شمل علاقة الإنسان بنفسه وبين جنسه (مثله) بل ويمتد ليشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون فمن خُلُق الإنسان المسلمة الرحمة بالحيوان فقد جاء في الحديث الشريف : " دخلت أمرآة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " [رواه البخاري] .

كما لا يجوز للمسلم أن يتلف النبات أو أن يخرب الجماد وذلك تحت بند الفساد .

قال الله تعالى :-

﴿ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٥] .

واستكملوا واجبلتم عليه .

العضو الأول :-

وأن النظام الأخلاقي الإسلامي يُقْنِع الإنسان المسلم وعقله وَيُرضي جميع مشاعره فما من خُلق حث عليه الإسلام أو حذر منه يتعارض مع العقل المستنير

أو ربما في القلب السليم المليء بنور الإيمان والإسلام فانظروا إلي القرآن الكريم عندما ينهي عن الغيبة وتأملوا الآية :

قال الله تعالى :-

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحُجرات:١٢]

ثم يقول :

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرات:١٢] .

وقول النبي الأمين صلوات وسلامه عليه حينما يعرف البر والإثم :

" البر ما سكنت إليه واطمأن إليه القلب والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون " [رواه أحمد والطبراني] .

نجد أن طريقة الوعي في القرآن والسنة مقنعة تؤثر في أصحاب العقول المنيرة والقلوب السليمة .

العضو الثاني :-

وإنه لا يكتفي بالحكم علي أعمال الإنسان الظاهرة أو بالشر بالفضيلة أو بالرذيلة ولكنه يمتد إلي الحكم علي النوايا والمقاصد فقال النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه :

" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوي " [أخرجه البخاري] .

العضو الثالث :-

وإنه ينظر إلي الإنسان علي أنه مركب من جسد وروح ولكل منهما متطلباته فأخلاق الإسلام لا تجعل الجسد يطغى علي الروح ولا الروح تطغي علي الجسد .

قال الله تعالى :-

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

العضو الرابع :-

والرقابة في النظام الأخلاقي الإسلامي رقابة إلهية ليست كرقابة البشر فالرقيب الذي يجب أن يراعي في القانون الأخلاقي الإسلامي هو الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والقائل في كتابه العزيز:-

قال الله تعالى:-

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[إبراهيم:٣٨]

وقال:-

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه:٧]

وقال عز وجل :-

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء:١٠٨]

وقال تعالى :-

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦]

العالم :-

لقد ربط الدين الإسلامي الحنيف بين جانب العقيدة منه وبين الأخلاق التي ارتضاها لأتباعه رباطاً وثيقاً وذلك واضحاً من خلال القرآن الكريم وسنة النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه فالإيمان بالله تعالى أساسه أن يكون المؤمن ذا خلقه حَسِنْ ومحمود فمن يتصف بالأخلاق السيئة تكون دليلاً علي عدم إيمانه أو دليلاً علي ضعفه وعلي ذلك يمكننا أن نعرف مدي إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق ونعرف مدي ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من سوء الأخلاق .

انظروا ما لهذا الأثر النبوي من مبعث علاجي للأخلاق واستئثاركم يتضح:-

العضو الأول :-

ولقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والأعمال الصالحة والإحسان .-

قال تعالى :-

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٤ -١٢٥]

العضو الثاني :-

والنبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه قد أوضح لنا هذه الصلة القوية بين الإيمان وبعض الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة هذا من جانب أو بين النفاق والصفات والأخلاق الرذيلة فقال ﷺ :

" أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خلْة منهن كانت فيه خلة نفاق حتى يدعها ؛ إذا حيث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر " [صحيح مسلم] .

العضو الثالث :-

فمقتضى الإيمان أن يكون المؤمن متحلياً بالحياء فقد مر رسول الله ﷺ علي رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ :

" دعه فإن الحياء من الإيمان " [البخاري] .

وفي حديث آخر عن الحياء فقال رسول الله ﷺ:

" دعه فإن الحياء من الإيمان " [البخاري] .

ويقول رسول الله ﷺ :-

" ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيراً "

العضو الرابع :-

والمؤمن دائما يسعى إلي مكارم الأخلاق يتحلى بها ويتصف بها حتى يكتمل إيمانه ويثقل ميزان حسناته يوم القيامة فيدخل جنة عدن أعدت للمتقين وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فحرصوا عليه فعن أم الدرداء قالت :

" قام أبو الدرداء ليلةً يصلي فجعل يبكي ويقول : اللَّهم أحسنت خَلقي فحسن خُلقي حتى أصبح .

فقلت : يا آبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلاَّ في حسن الخلق .

فقال : يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله الجنة ويسيء خلقه حتى يدخله النار والعبد المسلم يغفر له وهو نائم .

فقلت : يا آبا الدرداء كيف يغفر له وهو نائم ؟

قال : يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله عز وجل فيستجيب له ويدعو لأخيه فيستجيب له منه " . [أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١ / ٣٨٧]

ويقول ﷺ :-

" ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخلق " [أخرجه أبو داود] .

العالم :

ومما سبق نستنتج احتياجات هامة نحو تربية الأخلاق الحسنة الحميدة الفاضلة فهي وسائل تطبيقية لتفعيل وسائل التربية منها :الإرشاد والنصيحة ويتم ذلك عن طريق التعريف بالخلق الفاضل والحث علي امتثاله وتعريف الخلق السيئ والتنفير منه والإرشاد والوعظ في الخلق وبيانه يكون برفق وبما يرقق القلب حيث:

قال المولي سبحانه وتعالى :-

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥]

وقال تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨]

ومن هنا ومن هذا الاستشفاء المستفاد للخلق من أجل الخُلق وعليكم (النصيحة) !!

العضو الأول :-

قال الله تعالى عن النصيحة والنصح :-

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ [التوبة:٩١]

وقال النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه :

" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " . [رواه مسلم] .

العضو الثاني:-

وقال ﷺ : " الدين النصيحة " .

قلنا : لمن ؟ قال : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

[رواه مسلم] .

العضو الثالث :-

وهكذا يتكرر ذكر الموعظة والنصيحة في القرآن والسنة المطهرة باعتبار أنهما أهم وسائل تربية الخلق وكثيراً ما يأمر القرآن الكريم بالتذكير .

ويقول :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات:٥٥]

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧]

العضو الرابع :-

والنصيحة أيضا ومنها ما هي واضحة الأسلوب في نصيحة لقمان لإبنه حيث يقول الله تعالى :-

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان : ١٤- ١٩]

العالم :

ومن هنا ومن هذا المنطلق يجب علي كل إنسان أن يحافظ علي الخلق الحسن الفاضل حيث يولد الإنسان بقلب أبيض كصفحة بيضاء إما أن يكتب فيها خير وهو قبول خلق الخير له وإما أن يكتب فيها شر وهو قبول الإنسان الخلق السيئ دليلاً علي ذلك :

قوله تعالى :-

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]

وقوله تعالى :-

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ٨ -١٠] .

والمقصود بالنجدين طريقا الخير والشر فعلي الإنسان أن يأخذ طريق الخير وسيلة علي المحافظة علي الخلق الفاضل وطريق الخير هو في الإسلام الدين الحنيف الذي فطر الناس عليها .

قال الله تعالى :-

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠]